مراد العمدوني

فاكهة الصّلصال

شعر

فاكهة الصلصال

مراد العمدوني

فاكهة الصلصال

شعر

الكتاب :
فاكهـــة الصّـلصـال

الشاعر :
مـــراد العمدونـــي

تصميم الغلاف :
وليـــد الـــزواري

الطبعة الأولـــى : 2006

© جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

ر.د.م.ك. : 4 – 131 – 61 – 9973

تم طبع هذا الكتاب وإنجازه في :
الشركة التونسية للنشر وتنمية فنون الرسم
SOTEPA GRAPHIC
1، نهج محمد رشيد رضا – 1003 تونس
الهاتف : 71 784 933 / الفاكس : 71 781 113

تونس
2006

الإهـــداء

إلى النّسيان :

فاكهة متعفّنة لهذا الصّلصال

لهائـر النـّوء...

-١-

ماذا ترَكَ الإسفنج للبحر

غير زرقَتِه ؟

وماذا تركت قريش لنا

غير جثمان مشدود إلى أرجوحة لهفل

يمدّ يدا للسديم كأنها سهم من الماء

أو طائر النّوء

يفرّ من حدائق الأسماء

إلى صفصافة بلا مأوى...

-2-

رِدّة أخرى

لِنَسترِدّ من الأشباه حُرقتَنا

ومن الخيانات سرّ ملحمتها

على اللّيلَك البرّي

وخنْق التوابيت لشوك النّار...

أو لنمدّد شعْرَ الأرض

في سِدْرَةِ المنتهى..

عطشى مروّج الديّس

لشفّة يابسة

وذي الرياحم عطشى لرقصتنا

على دفوف الطواغيت...

فما امتلأت نخاريب النّحل

إلاّ دمًا

وما نمتْ في الحوض

سوى زهرة الكبريت

.....

-3-

الزّمن الآن

بئر بلا ضفاف كضفائرها...

سدّة نعلو من خلالها على تلالنا

لنرى أديم أصابعنا

وهو يرتجف...

رَشْفَةُ دمٍ مُتَعَفِّنٍ

وأنامل الصغار

فروّا

هناك .....

كي نلاحقهم .....

-4-

الزّمن الآن...

احتشاد أجنّة

صدئت من فرط الانتظار...

وانكسار المدن القديمة

في القفار...

.....

فَمبْني يا صليب البحر حلمك اليوميّ

كي أبكي مُختلفا

وأذوب كَسَمك الطّين

في وَحَل الأسماء ...

هبني حراشف

أحتمي بها من الذّكرى

والمطر الرّديء...

-5-

هناك احتمالان

لاحتجاج العصافير

على ضحكتنا :

حين تستكمل الروح صورتها

وينفلت المطلق من السراب...

أو تفرّ الحمامة المرضعة

من فخاخ المعجزة

وتترك ثاني الاثنين في الغار

فلا يبقى في الوادي سوى...

جثّة عاشقة

تُعرّي ثديها للريح

وتخفي قُبلتها في الغبار

.....

-6-

الآن..

تُطيّر أصابعي المناديل

في سمائها...

جذوع النّخيل تنتشي

بانكسار ظلّها

على الجدار...

فأخطو

فوق خطوط العرض

متّكئا

على عبث الأنساق

لأدخل الات تفرّخنا

نسخا ملصّخة

بإختبار الحضارات...

.....

.....

وخطوي كان مرتبكا

كخلال الله زمن البدء

أو ارتعاد هباءة عاشقين

عن مسلك الخلق العقيم

.....

.....

-7-

أخطو .....

فهل أخطأ القلب

حين دلّ التماثيل على منبع الروح

لتكفّ عن حدس الأراجيف

واختزال الفوضى

.....

وهل أكتفي بإحصاء من فرّوا

خلف أوهام

بلا رائحة

كقيء الموتى...

أم ألملم زغب الكواسر

من دمّ الحيض

وأنثر أسماءها حجرا

في الطّواحين القديمة...

-8-

أخطو..

كما الإعصار منكسرا

على شبابيك الأصابيح...

لا الأرض تقدر على حمل الصّلفات اليابسة

لا النمرمال كي تفيض الحكمة البابليّـــة

.....

لا النّفَس المرتطم بجدار الحلق

قاد جزيئة الكربون

إلى تجويفة مقيحة

في القلب...

لا لقب تجرّع من السّيمياء القديمة

حتّى أعيد اللّغة إلى فيضيّة العدم...

-٩-

الآن...

تفيض الدّروب العتيقة

بدمي

فدعي نوافذ الأحراش مقفلة

كي تغفو ريّات المدن، قليلا ،

بعد سكرتها...

ولا تقولي للريح

أنّي تعبت

حتى ألامس جدائلك

بلا جرس

وأدسّ فمي في قباب الدّيس

معتصما

بضفيرتين مشنوقتين

على ظهري

.....

وأنفذ من بين دوائر الماء

خلف الحصاة التي ارتمت

في قاع الأماهيل

فيدي لو فتّحت في النّمر

لانزلقت من بين أصابعها

الرّوح

ولانكسرت آنية الوجهين

على صَدَفة مسكونة

بأشباح الحروف...

ولانتفضت من بين أوردتي

أسراب الغرقى

-10-

لهائر النّوء

يمدّد لهثي بين غصّتين

علّني أستعيد دهشة الأشياء

من جبّانة اللّغو .....

وأستعيد ارتباك جسدين مغتربين

يُغمّسان أطراف الأنامل

في شمعداني...

فأرتجف من شبق الماء

ويتّجرف الطين المبلّل

خلفي

إلى غربة المعنى

في جرس الأسماء...

.....

-11-

لهائم النّوى

سَمْ الذات، ما شئت إذن

- هي مشطورة كالرّيح بلا مأوى...

- وهي مقتولة بأخطاء الذي لا يُخطئ

في مخبر التّجريب...

- وهي معروضة على حافة الأسواق

يَفْتَضّها النّسيان والذّكرى...

- وهي ملفوفة

بستائر الاحتفالات

كي تذبح ، علنًا ،

على إيقاعات التّقْطيم

المترنّم

بين بحور الخليل

والمغنى

.....

-12-

الماء الملوّث

لم يترك لنا

حرية العنيان

فاستنشقنا النشوة

من الجمرات

.....

.....

كان يمكن أن نعيد

تركيب الماضي

كأفلام الكَرْتون

فَنَنْتصر حَتْما...

كان يمكن أن نعيد

تركيب الماضي

كأفلام الكَرْتون

فَنَنْتصر حَتْما...

وكان يمكن

أن نخلط مَنِيَّنا

بزَبَد البحر

كي تعودي إلينا

أجمل من كلّ الأساطير

وأجمل منها

.....

.....

وكان يمكن

أن نلهو مثل أطفال مشاكسين

فنرسم على صورتنا

أنيابا جارحة

لِنَنْهش ما تبقّى لنا من جثث

على جدار الصّمت ...

-13-

لهائم النّـــور

تشظّى البرق

على زجاجنا

فانكســـ.....ا

كطائر الرّوح

وسقطنا مرّة أخرى

من جنّة الخلود

مُسْتَنْقَع

بلا ذكرى

.....

.....

جماجم مجفّفة

إنانا

لماذا لم تغلقي، كما اعتدت، شبابيك

السّماء

على أطفالك

كي يناموا هادئين...

(الكوابيس

ضفادع اللّيل

وقع أقدام الجنود الهاربين

من الأناشيد إلى كتاب الموتى

.....)

أطفالك خائفون إنانا،

من سقوط اللّيل عليهم

جدارا يائسا

تثقبه العصافير الحديديّة

والوعود الطّلسميّة...

فلم تعد مساحة أصابعك اليسرى

تكفي لتُضلِّلهم

وتخفي ما وراء الرّيح

من دمٍ مُلوَّن

وما وراء الرّيح من نُجم

تحاصر أضلعهم

وهي

تَحْبُو ... وتحبو

تعبوا ، إنانا ، تعبوا

من وصف جثث

بلا ملامح...

من رصف كرياتهم البيض

ملاجئ لروح تحجّرت

ومن ترديد أشعار المتنبّي

.....

لَكأنّك لا تُدركين حدود الوهم

والأمنيات البعيدة

لا تدركين ما حمّلتك الأساطير

من شجن

وما نثرتْ لكِ الخطاطيف

من جماجم الورد البابليّ..

تعبول، إنانا، تعبول ...

فَلَكِ الخلايا موزَّعة

على مشهدٍ مَيِّتٍ للرّافدين...

لك اعتذارات بساتين سومر كلّها

عن الشّبق الحرام

فلا تغضبي علينا مرّة أخرى

وتمدّدي أطرافك لهوفانا

وعواصف .....

فلَم نعُد

نحتمل

أن نرى

الآبار

تفيض دمًا

ولم تعد أوتار الرّبابة

مهيّأة لتنغيم

البكـــاء

.....

لكأنّ وردة عينيك

لم تكتمل بعد

ولم تَـرْتَـوِ..

حتّى تَرَيْنَ يدي

ترسم بالماء

ظلّين مختلفين

لنجمة شاردة...

وتغزل من خيوط الصّيف

شكلا أنيقا

للجَماجِم

.....

.....

إنانا،

هل كان علينا

أن نهب الريّح أشلاءنا

كي نحمي الورد

من تربة الوادي العقيم...

هل كان ينبغي

أن نكون الحلقة المفقودة

لنثبت للطّبيعة

أنّنا أبناؤها الحلال

.....

وقد

شرّدتنا

التوّابيت

.....

وحمّلتنا

التعّاويذ

غربة أخرى

.....

إنانا،

ربّما يجيئنا اللّيل

من تناسل الأشباح

وهي ترتجف...

ربّما يُمطّط الخوف

شرايين لهيئتنا

..... فتَنْفلق .....

ربّما تكون الرّياح اللّواقح

أرجوحة النّار

بين جمجمتين .....

أو ربّما تكونين أنتِ

نطفتنا القديمة

ولكنّنا

نظلّ غيما

فنفتضّ من العمر

قطرته القادمة...

.....

التّنْيِـن

-1-

انتهى...

ستعود الأشياء، كما كانت،

إلى أسمائهـــا

وتستعيد الرّوح لذّتها

من رجفة الصّلصال..

وسأمنح، بعد قليل، كفّي اليمنى إلى شمالها

حتّى ترسم على رمالنا

صور الملائكة

وهي تسقط من ثقوب الأوزون

و تَنْشَهِر

غيمةً مُفتضَّةً

على واجهة الجدار

.....

-2-

انتهى...

جثّتي مُعلّقة

بلا قافية

كأنّها بلغم مُقيّح

في سِدرة المُنتهى...

والرّيح تجتثّ من دمي لون رايته

ليصير فزّاعة للرّذاذ الجميل

-3-

انتهى...

خيمة ... خيمة

أتحسّس عبث التّكوين

وأصطفي للخيانات

أناشيد مقدّسة

أستدلّ، في ظلمة البوح،

بخيط العنكبوت

لأثبت للريّح :

- جدوى التّعاويـــذ

- وجدوى فِـتْـنَـتنـــا

- .....

- .....

-4-

مُكتفيا ،

بما تنشره الرّياح لي

من مطر

أرتـــوي

.....

وأروي للموج

وهْج التّستّر

خلف جحيم الهيدروجين

المُرصّع بالدّم

كلّما ارتخت غيمة

فوق صدري

أو تبلّلت رغوة الصّلصال

بالرّيق الحرام....

حرام على البحر

أن يهتدي بنجمة غيرنا

فالضّياع لعبتنا المُتْقَنة

.....

من فتحة في هذا العالم المفتوح

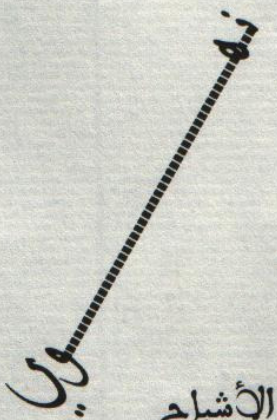

كما الأشباح

من ثقوب الحضارات

إلى قاع العقل الشّارد

في رعب الغياب...

.....

فكلّ الأشياء تشبه نسختها الوسخة :

عودة التّتار

ورعاة البقر المُسْتَنْسَخِ

من جِينَة الروّث الآدمي...

انتفاضة يدٌ مبتورة

تَـرْجم الماضي

وتستلذّ صور الجسد المشحون

بفائض القيمة

و معادلات الحرب الدّنيئة...

-5-

انتهى...

دولةً ...

دولـــة...

يتساقط

الشّجر

القديم

من دمنا.....

تقتلع رياح الخريف أهرافنا

من جذورها

حتّى لا نمدّ وردتنا الأخيرة

للفَرَاش اليتيم

و تَنفُضنا كلّ القواميس الحديثة

من مفرداتها

غبارا كئيبا

في فراغ الجحيم

.....

-6-

من وردة بريّة نشتّق صيغة انهيارنا
ونُصيّر، مرغمين،
أسراب العصافير من تمثّلاتنا
فما كنّا لِنُدرك ما تُخبّئه لنا الأمنيات من فخاخ
خلف التوّاشيح الغزليّة
وما ينثره الحمام المركّب من قنابل
فوق أغنيّة بدويّة
وما كنّا لنستردّ أشكال أوهامنا الأولى
لولا انكشافك علينا
في أقبيّة الغيم المخيف

-7-

انتهى...

كلّما تبقّى للرّيح

من دَفَقِ

شرّدته التّعاليم القديمة

وهرّبته الحقائب

إلى خَوْذة في الظّلام...

-8-

سـلام علينـا علينا يحطّ السّلام

جمجمةً

محمولة على موجة

في السّراب العتيق...

ونعشا زجاجيّا

لغيمة مَنْتُوفَةٍ

في الضّباب

.....

-٩-

سلام علينا،

من تشابك الطّرق

نلوّح بأيدينا لنجمة ذابلة

ونُنْهي لغة البدء

عند موطننا في الغياب...

فقد ينزع الواجد حجاب البـــرق

عن مُضغة الطّين

ويبلّل بماء الـــورد

أطراف جثّتنـــا

وقد تحملنا المدرّعات، خِفْيَـة،

إلـى ترنيمـة حزينـــة في أغنيـة الصّبـاح

.....

-10-

صباح...

ككلّ الصّباحات التي انتهت...

انتهى...

سنهاجر، بعد قبلتين،

إلى نطفة ضائعة

ونُعيد للرّهبة وطأتها القاتلة

ثمّ نهـــــذي نهـــــذي

وننـــام

.....

الفهـــــرس

- الإهـــــداء 5
- لهائر النّـــوء 7
- جماجم مجفّفة 39
- التّنّيـــــن 57

الزّمن الآن
بئر بلا ضفاف كضفائرها...
سدّة نعلو من خلالها على تلالنا
لنرى أديم أصابعنا
وهو يرتجف...
رشفة دم متعفّن
وأنامل أطفال

فرّوا
هناك...
كي نلاحقهم.....

الثمن : 8 دت